الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
الواضع الأول للنحو العربي

الأستاذ المساعد الدكتور
وفاء عبّاس فيّاض
جامعة كربلاء - كليّة العلوم الإسلاميّة

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الواضع الأول للنحو العربي

الأستاذ المساعد الدكتور
وفاء عبّاس فيّاض
جامعة كربلاء - كليّة العلوم الإسلاميّة

المقدّمة:

شرّف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بأنْ جعل منها خاتم الأنبياء والرسل محمدا صلى الله عليه وآله وأختار لهجة قريش من بين اللهجات العربيّة لفصاحتها وحسن أدائها لتكون نسيج كلماته في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر٩).

وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام هم حملة القرآن الكريم وترجمانه الناطق[1]. ولا شك أن المدة الزمنية التي عاش فيها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كانت مهيأة لوضع اللبنات الأولى للنحو مرتكزا على المعنى اللغوي للفظة النحو وهو القصد والطريق أو بمعناه الاصطلاحيّ الذي سيأتي لاحقاً. هذا من جهة ومن جهة أخرى نستطيع القول بأنّ ظهور النحو كان أمراً طبيعيّا لما ظهر أو سيظهر في اللسان العربي من (اللحن). على أنّ مسألة اللحن قد تعود إلى عهد مبكر زمن النبي محمد صلى الله عليه وآله فقد جاء في بعض الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمع رجلًا يلحن في كلامه فقال: ((أَرْشِدوا أخاكم))[2].

وتذكر كتب التراجم وغيرها أنّ هناك الكثير من الروايات تورد تَسَرُّب اللحن على ألسنة الناس في عهد الخلافة الراشدة، وهو أثر من آثار اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب غير العربية، ممّا أضعف السليقةَ اللغوية لديهم

وفشا اللحن في كلامهم، ولحن بعضهم في القرآن الكريم، ومن ذلك ما ذكره أبو البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) في نزهة الألباء من: ((أنّه قدم أعرابيٌّ في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: مَنْ يُقرئني شيئا ممَّا أنزل الله على محمد صلى الله عليه[وآله] وسلم؟ فأقرأه رجلٌ سورة براءة، فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾(التوبة٣) بالجرِّ، فقال الأعرابي: أوقد بَرِئ الله من رسوله! إن يكن الله بَرئ من رسوله فأنا أبرأُ منه! فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابيُّ، أتبرأ من رسول الله! فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمْتُ المدينة، ولا علمَ لي بالقرآن، فسألت: مَنْ يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فقلت: أو قد بَرِئ الله تعالى من رسوله! إن يكن الله برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه. فقال له عمر: ليس هكذا يا أعرابي. قال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: (ورسولُه). فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممَّن برئ الله ورسولُه منه، فأمر عمر بن الخطاب ألاَّ يُقرئَ الناسَ إلا عالمٌ باللغة، وأمر أبا الأسود بوضع النحو))[٣].

وأضحى اللحن بلاءً فطال ألسنة كثير من الفصحاء، حتى الذين تربَّوا في البادية، فقد ((روى يونس بن حبيب أن الحجَّاج قال ليحيى بن يعمر: أتسمعني ألحن على المنبر؟ قال يحيى: الأمير أفصح من ذلك، فألحَّ عليه فقال حرفًا. قال الحجَّاج: أيًّا؟ قال: في القرآن. قال الحجَّاج: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: تقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾.. إلى قوله ﴿أَحَبَّ﴾ (التوبة٢٤)، فتقرؤها(أحبُّ) بالرفع، والوجه أن تُقرأ بالنصب على خبر كان))[٤]. وفي إثر هذه الحادثة أمر الحجاج بنفيه خارج البلاد.

ويذكر أن الحجَّاج قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ (السجدة٢٢): إنا من المجرمون منتقمون[٥]. ويظنّ بعض الدارسين أنّ نشأة جيل ممن أمهاتهم من

الإماء غير العربيات وله استعداد لكي يلحن في القرآن وغيره، جعل الحاجَة تمسُّ للبدء في وضع ضوابط يُعْرف بها الصواب من الخطأ[٦]. وساق الجاحظ (ت٢٥٥هـ) روايات كثيرة في هذا الشأن لسنا بصدد الإشارة إليها هنا[٧].

وقد أجمع الذين تصدَّوا لنشأة علوم العربية على أنّ القرآن الكريم كان الدافع الرئيس لوَضْع علم النحو والإعراب؛ وذلك لأنَّ ظهور اللحن وتَفَشِّيه في الكلام، وزحفه إلى لسان مَنْ يتلو القرآن، هو الباعث على تدوين اللغة، واستنباط قواعد النحو منها، وعلم العربية شأنه شأن كلِّ العلوم تتطلبه الحوادث والحاجات. ويرى أغلب الباحثين[٨] أنّ رغبة العرب المسلمين في نشر دينهم إلى الأقوام المختلفة أنشأ أحوالًا جديدة في واقع اللغة، ما كان العربُ يعهدونها من قبل.

ولقد تحدث ابن خلدون(٨٠٨هـ) في(مقدمته) عن فساد السليقة العربية ممَّا أدَّى إلى وقوع اللحن في القرآن، وشروع العلماء في حفْظ اللسان، ولكنه لم يُحَدِّد مَن الذي بدأ هذه الجهود، يقول: ((لَمَّا فسدت مَلَكة اللسان العربي في الحركات المسمَّاة عند أهل النحو بالإعراب، واستُنْبطت القوانين لحفظها... فاسْتُعْمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم، مَيْلًا مع هِجْنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حِفْظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عن الجهل بالقرآن والحديث، فَشَمَّر كثير من أئمة اللغة واللسان لذلك وأَمْلَوا فيه الدواوين))[٩] ثم ينوّه بجهد العلماء في حفظ ملكة اللسان، فقال: ((وخشي أهل العلوم منهم أن تَفْسُدَ تلك المَلَكة رأسًا ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا مِنْ مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطَّردة شبهَ الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام))[١٠] وبذلك تكون الخطوة الأولى في صَرْح تأسيس علم النحو بمنزلة ردٍّ مباشر لتسرب

اللحن إلى اللسان العربي بعامة، وإلى القرآن بخاصة، ولا بد أن يكون قد صاحَبَ ذلك جهود تمثَّلَتْ في تأمُّل اللغة والنظر في مفرداتها وتراكيبها وشواهدها، فنجم عن تلك الجهود النواة الأولى لعلم النحو والإعراب، وكان الشروع في ضوابط العربية مِنْ قِبَل أصحاب النظر في اللغة، وازدهرت لإنجاز هذه المهمة حركة علمية واسعة، وهذا يدلُّ على شعور بالحاجة اللغوية وبروز التناقض بين المثال المتجسِّد في لغة القرآن والواقع الذي صارت إليه اللغة على ألسنة الناس.

المبحث الأول

صحيفة الإمام عليّ ووضع الأسس النحوية

قبل الحديث عن موضوع الصحيفة ووضع الأسس النحوية لا بد لنا من الوقوف عند مصطلح (النحو) لتحديد مفهومه وعلاقته بالصحيفة، فالنحو عند الخليل(ت١٧٥هـ): ((القصد نحو الشيء، نحوت نحوه، أي: قصدت قصده))[١١]. وعند ابن منظور(ت٧١١هـ): ((والنَّحْوُ القَصدُ والطَّرِيقُ يكون ظرفاً ويكون اسماً نَحاه يَنْحُوه ويَنْحاه نَحْواً وانْتَحاه ونَحْوُ العربية منه))[١٢]؛ والنحو في الاصطلاح: ((إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذّ بعضهم عنها رد به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أنّ الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفته ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم))[١٣].

أمّا سبب تسميته فقد وردت فيه روايات منها ما ذكره الخليل(ت١٧٥هـ) في كتابه العين ((وبلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية فقال للناس: انحوا نحو هذا، فسمي نحوا ويجمع على الإنحاء))[١٤]. وهناك رواية أخرى نقلها

الذهبي في تاريخ الإسلام وغيره، تقول: ((وقد أمره (أي أبا الأسود) عليٌّ بوضع النحو، فلما أراه أبو الأسود ما وضع قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، ومن ثم سمي نحوا))[١٥]؛ ويمكن الجمع بين الروايتين إذ لا منافاة بينهما.

وذكر ابن النديم في الفهرست علة تسمية النحو بقوله: ((قال أبو جعفر ابن رستم الطبري: إنما سمى النحو نحواً لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعلي عليه السلام وقد ألقى عليه شيئاً من أصول النحو. قال أبو الأسود: واستأذنته أن أضع نحو ما وضع فسمى ذلك نحواً))[١٦]. واتبع ابن النديم ذلك بقوله: ((ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصيني ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رضي الله عنه بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخلط بخط عتيق: وهذا خط النضر بن شميل.))[١٧].

ونقل الحر العامليّ في (وسائل الشيعة) عن: ((محمد بن إدريس في آخر (السرائر) نقلا من كتاب جعفر ابن محمد بن سنان الدهقان، عن عبيد الله، عن درست، عن عبد الحميد بن أبي العلاء، عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من انهمك في طلب النحو سلب الخشوع))[١٨]. ويبدو أنّه وهم واضح من الحر العاملي في إيراده هذا الحديث، سواء بلفظه أم بمضمونه.

وذكر الرافعي أنّ لفظ العربية أطلقه أبو الأسود على النحو وعرف به النحو في عصره وبعد عصره أيضا[١٩]. وقال د.الدجني: ((والخلاصة أن كلمة نحو ومدلولها، لم تكن مستعملة عند النحاة الأوائل فلذلك أطلقوا اصطلاح العربية تارة، وأخرى كلاما وأحيانا الإعراب حتى استقر الرأي على تسميته (النحو) وذلك عند علماء القرن الثاني الهجري، وإذا حققنا في تلك

الاصطلاحات السابقة (العربية - الكلام - الإعراب) نجدها لا تتناقض مع معنى النحو، إلا أنها لا تلتزم الدقة في تلك الألفاظ، وهكذا نلاحظ أن العلماء الأوائل الذين نُسِب إليهم نشأة النحو العربي وهم (الإمام علي بن أبي طالب المتوفى سنة٤٠هـ، وأبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة٦٩هـ ونصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة ٨٩هـ، وعبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة١١٠هـ)، لم يستعملوا اصطلاح النحو بل أطلقوا تلك المصطلحات التي ذكرتها، وبقيت تلك المصطلحات هي السائدة، طيلة القرن الأول الهجري، وهذا ما اتفق عليه معظم الباحثين والرواة إلا أنهم اغفلوا حقيقة هامة وهي عدم معرفة الرجل الذي أطلق اصطلاح النحو))[٢٠]. والذي يبدو لي أن مهمة ثقيلة وقعت على عاتق الإمام علي عليه السلام وهي مهمة تقويم و تصحيح اللسان العربي بعدما وقع فيه اللحن والخطأ في الكلام، وبدأ ينعكس ذلك سلبا حتى في قراءة القرآن الكريم (الكلام المعجز). ومن يكون أحرص من الإمام علي عليه السلام في ذلك الوقت على هذه الأمة لئلا يضيع كتابها المقدس؟ لذلك نجده يدفع بصحيفة إلى أبي الأسود الدؤلي وضع فيها الأصول الأولية لهذا العلم، وحتى يفتح الطريق واسعا أمام من يكمل هذه المهمة وينهض بأعباء هذه المسؤولية.

وفي الحقيقة لقد تعددت الآراء لاختلاف الروايات في الواضع الأول للنحو وبدايات هذا العلم؛ ونستطيع تقسيم تلك الروايات التي تدلنا على بداية وضع النحو العربي وعلى واضعه، وسبب وضعه على قسمين، وسوف نذكر نماذج لكل قسم، فهناك روايات يلحظها القارئ في مختلف الكتب، وسوف نذكر روايات أخرى وقفنا عليها في هذه الدراسة.

القسم الأول:

سنعرض في هذا القسم الروايات التي تؤكد على أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الواضع الأول لعلم النحو من خلال وجود الصحيفة أو الرقعة

التي دفعها إلى تلميذه أبي الأسود الدؤلي، وأول ما تواجهنا في هذا الجانب ما ذكره صاحب كتاب (الشيعة وفنون الإسلام) ما قوله: ((قال أخبرني الشيخ أبو عبد اللّه أدام اللّه عزه عن محمد بن سلام الجمحي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرمى إليه رقعة فيها بسم اللّه الرحمن الرحيم، الكلام كله ثلاثة أشياء، اسم وفعل وحرف جاء لمعنى: فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أوجد معنى في غيره، فقال أبو الأسود يا أمير المؤمنين هذا كلام حسن فما تأمرني أن أصنع به فإنني زدت بإيقافي عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت في بلدكم هذا لحناً كثيراً فاحشاً، فأحببت أن أرسم كتاباً من نظر فيه ميز بين كلام العرب وكلام هؤلاء، فابن عليه ذلك. فقال أبو الأسود وفقنا اللّه بك يا أمير المؤمنين للصواب، أنتهى.))[٢١] ومحمد بن سلام الجمحي سنة وفاته (٢٣١هـ) وهو من العلماء المتقدمين.

ومنها رواية أبي القاسم الزجاجي(ت٣٣٧هـ)[٢٢] وهي من ملحقات الأمالي إذ يقول فيها: ((حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني عن أبي الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرايته مطرقا مفكرا. فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة. ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إلي صحيفة فيها: بسم اللّه الرحمن الرحيم. الكلام: اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبا عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر، وشي ء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر. قال أبو الأسود: فجمعت منه

أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها: (إن وأن وليت ولعل وكأن) ولم أذكر (لكن) فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم احسبها منها، فقال: بل هي منها، فزدها فيها))[٢٣].

وينقل السيوطي(ت٩١١هـ) بعد ذكر النص المتقدم للزجاجي عن ابن عساكر (ت٥٧١هـ) في تاريخه قوله: ((كان أبو إسحاق إبراهيم بن عقيل النحوي المعروف بابن العكبري يذكر أن عنده تعليقة أبي الأسود الدؤلي التي ألقاها عليه الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكان كثيرا ما يعدّ بها أصحاب الحديث إلى أن دفعها إلى الفقيه أبي العباس أحمد بن منصور المالكي وكتبها عنه وسمعها منه في سنة ست وستين وأربعمائة، وإذا به قد ركب عليها إسنادا لا حقيقة له، وصورته: قال أبو إسحاق، إبراهيم بن عقيل: حدثني أبو طالب عبيد الله بن أحمد بن نصر بن يعقوب بالبصرة، حدثني يحيى بن أبي بكير الكرماني، حدثني إسرائيل، عن محمد بن عبيد الله أبن أبي رابع عن أبيه. قال: وحدثني محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عياش، عن عمه عن عبيد الله أبن أبي رافع، أن أبا الأسود الدؤلي دخل على عليّ رضي الله عنه، وذكر التعليقة، فلما وقفت على ذلك بينت لأبي العباس أحمد بن منصور أن يحيى بن أبي بكير الكرماني مات سنة ثمان ومائتين، فجعل إبراهيم بن عقيل هذا بين نفسه وبين يحيى بن أبي بكير رجلا واحدا، وهذه التي سمّاها (التعليقة) هي في أول أمالي الزجاجي نحو من عشرة أسطر فجعلها إبراهيم قريبا من عشرة أوراق - انتهى))[٢٤].

من خلال النص المتقدم نرى أنّ ابن عساكر أقرّ بوجود الأصل من هذه التعليقة أو الرقعة ولكنه يشكك في الزيادات التي قيلت في هذه الرقعة إذ جعلت عشرة أوراق بعد أن كانت عشرة أسطر.

والرواية الثانية ذكرها أبو البركات الانباري(ت٥٧٧هـ) في كتابه (نزهة

الألباء في طبقات الأدباء) في صدر كتابه؛ الذي جعله في أول من وضع علم العربية: ((إعلم أيدك الله تعالى بالتوفيق، وأرشدك إلى سواء الطريق، أن أوّل من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحدَّ حدوده، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي... وسبب وضع عليّ رضي الله عنه لهذا العلم، ما روى أبو الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء- يعني الأعاجم - فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه؛ ثم ألقى إلي الرقعة، وفيها مكتوب: الكلام كله اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمَّى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما جاء لمعنى. وقال لي:" انحُ هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك واعلم يا أبا الأسود إن الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر؛ وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر" وأراد بذلك الاسم المبهم))[٢٥].

ويسترسل أبو البركات الأنباري في الرواية فيقول: ((قال أبو الأسود: فكان ما وقع إليّ: "إنّ" وأخواتها ما خلا " لكنّ". فلما عرضتُها على عليّ رضي الله عنه، قال لي: وأين لكنّ؟ فقال: ما حسبتُها منها؛ فقال: هي منها فألحقْها، ثم قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت! فلذلك سُمِّيَ النّحو نحواً))[٢٦].

ويروي القفطي(ت٦٤٦هـ) في كتابه (إنباه الرواة على أنباه النحاة) رواية مضمونها قريب من رواية الأنباري مع بعض التغيير؛ إذ قال في أول كتابه ((ذكر أول من وضع النحو وما قاله الرواة في ذلك)) ابتدأها بقوله: ((الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- قال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله: دخلت على أمير

المؤمنين عليه السلام فرأيته مطرقا مفكرا. فقلت: فيمَ تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت ببلدكم لحنا، فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية، فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية، ثم أتيته بعد أيام، فألقى إليَّ صحيفة فيها: " بسم اللّه الرحمن الرحيم. الكلام كله اسم وفعل وحرف؛ فالاسم ما أنبا عن المسمى، والفعل ما أنبا عن حركة المسمى، والحرف ما أنبا عن معنى ليس باسم ولا فعل" ثم قال: " تتبعْه وزدْ فيه ما وقع لك، واعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر" فجمعت أشياء وعرضتُها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنّ، وأنّ، وليت، ولعلّ، وكأنّ. ولم أذكر لكنّ، فقال: لِمَ تركتَها؟ فقلت: لم أحسبْها منها. فقال: بلَى هي منها، فزدها فيها))[٢٧]. فقوله (الجمهور من أهل الرواية...) ينبئ عن معنى إجماع الرواة على أن الإمام علي عليه السلام هو الواضع الأول للنحو.

ويعقّب القفطي بعد سرد هذه الرواية بقوله: ((هذا هو الأشهر من أمر ابتداء النحو. وقد تعرض الزجاجيّ أبو القاسم إلى شرح هذا الفصل من كلام عليّ، كرّم الله وجهه))[٢٨]. وهذه الإحالة من القفطي للزجاجي تؤكد الدقة في الرواية، فضلا عن أسبقيتها من حيث التسلسل الزمني.

وذكر القفطي أنه رأى بمصر جزءا في أبواب نحوية يتفقون على أنّه من الإمام علي عليه السلام؛ إذ قال: ((ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءا فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدّمة عليّ بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدُّؤليّ.))[٢٩] ويستشف من خلال هذه الرواية نصا صريحا آخر وبإجماع العلماء في مصر أن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قدم مدونة أو مقدمة تضمنت جزءا في أبواب من النحو؛ علما أن النحو في مصر جاء متأخراً عن وجوده في البصرة والكوفة وبغداد وما يزال يحفظ طيلة هذه المدة.

وهنالك رواية أخرى للقفطي أيضا يذكر فيها عن أبي الأسود قوله: ((دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فاخرج لي رقعة فيها: " الكلام كلّه اسم وفعل وحرف جاء لمعنى " فقلت: ما دعاك إلى هذا؟ قال: رأيت فسادا في كلام بعض أهلي؛ فأحببت أن أرسم رسما يعرف به الصواب من الخطأ، فأخذ أبو الأسود النحو عن علي عليه السلام ولم يظهره لأحد))[٣٠]. فقوله (فاخرج لي رقعة فيها...) فتكون لفظة الرقعة مرادفة للفظة الصحيفة الوارد ذكرها في النص السابق.

القسم الثاني:

هنالك العشرات من الروايات التي تؤكد على أن الإمام علي عليه السلام هو من وضع الأسس النحوية الأولية منها عبر وضعه الصحيفة التي دفعها إلى أبي الأسود الدؤلي، وهنالك روايات أخرى ساقتها كتب أخرى تتحدث فيها على أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو المتصدي الأول والمشار الأول بعلمه لوضع الأسس الأولية لعلم النحو وهي غير تلك الروايات التي ذكرت بالنص الصحيفة التي دفعها الإمام إلى أبي الأسود وهي من حيث التسلسل الزمني أسبق من الروايات السابقة منها ما روي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) انه قال: ((اخذ أبو الأسود النحو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه))[٣١].

ومنها رواية ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في كتابه(المعارف) حين ترجم لأبي الأسود الدؤلي فيقول: ((أبو الأسود الدؤلي يعد في النحويين لأنه أول من عمل كتابا في النحو بعد علي بن أبي طالب عليه السلام))[٣٢]. وتلمح هذه الرواية إلى أن الإمام علي عليه السلام كان قد سبق أبي الأسود في كتابة النحو.

وفي رواية أبي الطاهر المقرئ (ت٣٤٩هـ) في مقدمة كتابه (أخبار النحويين) قوله: ((وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ أبو الأسود عن علي

ابن أبي طالب عليه السلام العربية فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أحد...))[٣٣].

وفي رواية أبي الطيب اللغوي(ت٣٥١هـ) إذ يقول فيها: ((أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي... وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنه سمع لحنا، فقال لأبي الأسود: اجعل للناس حروفا وأشار له إلى الرفع والنصب والجر. فكان أبو الأسود ضنينا بما أخذ من ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام))[٣٤].

وقال أبو الفرج الأصبهاني(ت٣٦٠هـ) في الأغاني:((أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمي عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي أن أبا الأسود الدؤلي رضي الله عنه دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحرِ فرفعت أشدّ فظنّها تسأله وتستفهم منه أيُّ زمان الحر أشد. فقال لها شهر نأجر يريد شهر صفر؛ الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك!. فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فقال: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل!. فقال له: وما ذلك فأخبره خبر ابنته، فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأملى عليه: الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى. وهذا القول أول كتاب سيبويه ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها، قال أبو الفرج الأصبهاني رحمه الله هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن فكتبته من حفظي واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه))[٣٥].

وقال ابن النديم (ت٣٨٥هـ) في الفهرست: ((الفن الأول في ابتداء الكلام

في النحو وأخبار النحويين واللغويين من البصريين وفصحاء الأعراب وأسماء كتبهم قال محمد بن إسحاق زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي وان أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... قال أبو جعفر بن رستم الطبري إنما سمي النحو نحوا لأنّ أبا الأسود الدؤلي قال لعلي عليه السلام وقد ألقى عليه شيئا من أصول النحو قال أبو الأسود واستأذنته أن أصنع نحو ما صنع فسمى ذلك نحوا وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو فقال أبو عبيدة أخذ النحو عن علي بن أبي طالب أبو الأسود وكان لا يخرج شيئا أخذه عن علي كرم الله وجهه إلى أحد...))[٣٦].

وقال ابن جنّي(ت٣٩٢هـ) في الخصائص:((أوَ لا يعلم أن أمير المؤمنين عليّا رضي الله عنه هو البادئ والمنبّه عليه والمنشئ والمرشد إليه. ثم تحقُّق ابن عباس رضي الله عنه به واكتفال أبي الأسود- رحمه الله- إياه. هذا بعد تنبيه رسول الله - عليه وحضّه على الأخذ بالحظّ منه ثم تتالى السلف - رحمهم الله- عليه واقتفائهم آخرا على أوّل طريقه))[٣٧].

وقال أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥) في كتابه الأوائل: ((أوّل من وضع النحو عليّ بن أبي طالب عليه السلام))[٣٨].

وذكر أبو البركات الانباري(ت٥٧٧هـ) في ترجمة شيخه هبة الله بن الشجري (ت٥٤٢هـ) في بيان سنده في العربية موصلا إياه بالإمام علي عليه السلام ذاكرا فيه أشهر النحاة، فقال: ((وعنه [يعني عن ابن الشجري] أخذتُ علم العربية واخبرني أنّه أخذه عن ابن طباطبا وأخذه ابن طباطبا عن علي بن عيسى الربعي. وأخذه الربعي عن أبي علي الفارسي وأخذه أبو علي الفارسي عن أبي بكر بن السراج وأخذه ابن السراج عن أبي العباس المبرد وأخذه المبرد عن أبي عثمان المازني وأبي عمر الجرميّ، وأخذاه عن أبي الحسن

الأخفش وأخذه الأخفش عن سيبويه وغيره وأخذه سيبويه عن الخليل بن أحمد وأخذه الخليل عن عيسى بن عمر وأخذه عيسى بن عمر وأخذه عيسى ابن عمر عن ابن أبي إسحاق وأخذه ابن أبي إسحاق عن ميمون الاقرن وأخذه ميمون الاقرن عن عنبسة الفيل وأخذه عنبسة الفيل عن أبي الأسود الدؤلي وأخذه أبو الأسود عن أمير المؤمنين علي عليه السلام))[٣٩]. فمن خلال النص المتقدم نجد أن هنالك سلسلة متتابعة من العلماء الكبار في مجال النحو كانوا قد أخذوا النحو بطريق غير مباشر عن الإمام علي عليه السلام.

وقال أبو البركات الانباري(ت٥٧٧هـ) أيضا: ((وروي أنّ سبب وضع عليٍّ لهذا العلم أنَّه سمع إعرابيا يقرأ: (لا يأكله إلا الخاطئين)، فوضع النحو))[٤٠].

وفي موضع آخر من الكتاب قال: ((وحكى أبو حاتم السجستاني، قال: وُلد أبو الأسود الدؤلي في الجاهلية، وأخذ النحو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه))[٤١].

ويؤكد الأنباري في موضع آخر من الكتاب صحة القول بأنّ عليّا عليه السلام هو أول من وضع النحو؛ فقال: ((والصحيح أن أوّل من وضع النحو علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأن الروايات كلَّها تُسندُ إلى أبي الأسود، وأبو الأسود يُسند إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فإنه رُوي عن أبي الأسود أنه سُئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ فقال: لَقَقْتُ حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه))[٤٢]. ولفقت حدوده بمعنى أخذت أصوله وتفرعاته.

وقد ردّ بهذا الكلام على من زعم أنّ غير الإمام عليعليه السلام هو من وضع النحو فقد ذكر: ((فأما زعمُ مَنْ زعمَ أن أوّل من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ونصر بن عاصم فليس بصحيح))[٤٣]. ولم يكتف بهذا بل علّل

رأيه هذا بقوله: ((لأنّ عبد الرحمن بن هرمز، أخذ النحو عن أبي الأسود، وكذلك أيضا نصر بن عاصم أخذه عن أبي الأسود، ويقال عن ميمون الأقرن... وأخذ عن أبي الأسود عنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر.))[٤٤].

وقال ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ): ((وكان عليه السلام أول من وضع النحو وسنّ العربية، وذلك أنّه مرّ برجل يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[٤٥] بكسر اللام في رسوله، فوضع النحو وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي، وقد استوفينا خبر ذلك في باب أبي الأسود.))[٤٦].

وفي موضع آخر من(معجم الأدباء) وفي أول صفحة تحديدا قال ياقوت الحموي: ((وروي أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٤٧] أنكر عليه ابن عباس. فقال علي: هذا من الترخيم في النداء فقال ابن عباس: ما أشغل أهل النار في النار عن الترخيم في النداء؟ فقال علي: صدقت. فهذا يدل على تحقق الصحابة من النحو، وعلمهم به.))[٤٨].

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي(ت٦٥٦هـ) في شرحه لنهج البلاغة: ((ومن العلوم علم النحو والعربية وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله من جملتها الكلام كله ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع و النصب والجر والجزم وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر و لا تنهض بهذا الاستنباط))[٤٩].

وذكر شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ) في كتابه (تاريخ الإسلام) ما نصه: ((وقال المبرد: حدثنا المازني قال: السبب الذي وضعت له أبواب النحو، إنّ

ابنة أبي الأسود قالت: ما اشدُّ الحر، قال: الحصباء بالرمضاء، قالت: إنما تعجبت من شدته، فقال: أوَقَد لَحن الناس؟ فأخبر بذلك عليًّا فأعطاه أصولاً بنى منها، وعمل بعده عليها، وهو أول من نقط المصاحف))[٥٠].

وقال في موضع آخر من كتابه: ((وقد أمره عليّ بوضع النحو، فلمَّا أراه أبو الأسود ما وضع قال: ما أحسن هذا النّحو الذي نحوت، ومن ثم سُمِّيَ النّحو نحوا))[٥١].

ويقول ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) في مقدمته: ((وأول من كتب فيها- صناعة النحو- أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال بإشارة عليّ لأنّه رأى تغيّر الملكة فأشار عليه بحفظها، ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقراة))[٥٢].

وقال الحافظ ابن حجر(ت٨٥٢هـ) في الإصابة في ترجمة أبي الأسود: ((قال أبو علي القالي حدثنا أبو إسحاق الزجاج حدثنا أبو العباس المبرد قال: أول من وضع العربية ونقط المصحف أبو الأسود، وقد سئل أبو الأسود عمّن نهج له الطريق، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب))[٥٣].

ويقول البغدادي (ت١٠٩٣هـ) في خزانة الأدب: ((... وهو أبو الأسود واضع علم النحو، بتعليم علي))[٥٤].

وفي (حياة الحيوان) للدميري يقول عن علي بن أبي طالب: ((وهو أول من وضع النحو، فقيل: إن عليّاً رضي الله تعالى عنه، وضع له: الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف، ثم دفعه إليه، وقال له: تمم على هذا وسمي النحو نحواً، لأن أبا الأسود قال: استأذنت على علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، في أن أضع نحو ما وضع، فسمي لذلك نحواً))[٥٥].

وذكر في كتاب صبح الأعشى قوله: ((ومن بكر هؤلاء الدئل وهم بنو الدئل بن بكر بن عبد مناة وإليهم ينسب أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو

بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه))[٥٦].

وفي كتاب (تاج العروس) حين يذكر الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) بعض مقاصده وهو الثامن تحديدا يجعله في بيان مراتب اللغويين وفيه نوعان: ((الأوّل في بيانه أئمة اللغة من البصريّين وبيان أسانيدهم ووفياتهم وكُناهم. نقل السيوطي في المزهر عن أبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي في كتابه مراتب النحويين ما حاصله: إن أول من رسم للناس النحو واللغة أبو الأسود الدؤلي وكان أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه...))[٥٧].

وذكر الزركلي في(الأعلام) حين ترجم لأبي الأسود الدؤلي قوله: ((ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني: واضع علم النحو... من التابعين. رسم له عليّ بن أبي طالب شيئا من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذه عنه جماعة))[٥٨].

وذكر السيد حسن الصدر في كتابه (تأسيس الشيعة): ((قال ركن الدين علي بن أبي بكر الحديثي في كتاب الركني: أن أول من وضع النحو أبو الأسود، أخذه من علي عليه السلام وسببه أن امرأة دخلت على معاوية في زمن عثمان، وقالت: أبوي مات وترك مالا، فاستقبح معاوية ذلك، فبلغ عليّا فرسم لأبي الأسود، فوضع أوّلاً باب الإضافة))[٥٩].

وهذه الرواية وإن اختلفت عن المشهور في سبب وضع النحو إلا أنّها تنصّ على إبداع عليّ عليه السلام النحو، ولا مانع من أن تجتمع أسباب عدة في ذلك.

وجاء في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) في أخبار أبي الأسود: ((الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي التابعي الذي شهد حروب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ عنه النحو))[٦٠].

وقال السيد محمد كاظم القزوينيّ في سبق الإمام وإبداعه للعلوم: ((ومن

العلوم: علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافّة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله ومن جملتها: الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف. ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط))[٦١].

وفي كتاب (الشيعة وفنون الإسلام) للسيد حسن صدر الدين، في كلامه عن أول من وضع علم النحو يقول: ((في أول من وضعه للعرب فاعلم أن أول من ابتدعه وأنشأه وأملا جوامعه وأصوله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد حكي على ذلك الإجماع جمال الدين علي بن يوسف القفطي في كتابه تاريخ النحاة، والمرزباني في المقتبس))[٦٢]. ونكتفي بهذا القدر من هذه الروايات على الرغم من علمنا أن هنالك عشرات الروايات الأخرى المبثوثة في بطون الكتب تشير وتؤكد حقيقة ما ذهبنا إليه من أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو أول من رسم المعالم الأولى للنحو العربي.

أسباب وضع النحو:

اختلفت الروايات في تحقيق السبب الذي دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى اختراع أصول علم النحو وتحديد حدوده وتحقيق السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو منها: ((قال الخليل: النحو القصد، وذلك لأن علياً عليه السلام قال - حين سمع قول رجل يلحن في كلامه - لأبي الأسود الدؤلي: ضع ميزاناً لكلام العرب فلقد كثرت الأنباط والمتعربة، فلما وضع أبو الأسود هذا الميزان قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أحسن النحو الذي أحدثت فيه - أي الناحية والطريق))[٦٣].

وكذلك ((ما ذكره ابن الأنباري في خطبة شرح سيبويه قال: إن رسول

اللّه صلى الله عليه وآله سمع يوماً قارئاً يقرأ إن اللّه بريء من المشركين ورسوله بجر لام الرسول فغضب صلى الله عليه وآله وأشار إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام: إنحُ النحو واجعل له قاعدة، وامنع من مثل هذا اللحن، فطلب أمير المؤمنين أبا الأسود الدؤلي وعلمه العوامل والروابط وحصر كلام العرب وحصر الحركات الإعرابية والبنائية، وكان أبو الأسود كيسا فطناً ذهناً فألف ذلك وإذا أشكل عليه شيء راجع أمير المؤمنين عليه السلام ورتب وركب بعض التراكيب واتى به إلى خدمة أمير المؤمنين عليه السلام فاستحسنه وقال نعم ما نحوت - أي قصدت - فللتأوّل بلفظ علي عليه السلام سمي هذا العلم نحواً، انتهى))[٦٤].

بمعنى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو أول من أشار إلى النحو وهو القصد والطريق بحسب ما تذكره الرواية.

ونقل السيد صدر الدين رواية أخرى وهي: ((ما ذكره رشيد الدين أن السبب في ذلك أن أبا الأسود كان يمشي خلف جنازة - فقال له رجل: من المتوفي؟. فقال اللّه أخبر علياً عليه السلام فأسس ذلك ودفعه إلى أبي الأسود في رقعة وقال: ما أحسن هذا النحو، أحش له بالمسائل فسمي نحواً)) [٦٥].

ولعل هنالك من الروايات ما تشير إلى أن زياد ابن أبيه أو ابنه عبيد الله بن زياد أو حتى الحجاج هم من تصدوا لهذا العمل وحاولوا إصلاح الفاسد من الكلام، ولا أرى مبررا لهذه الروايات سوى تجميل صورة هؤلاء وإضفاء روح الحرص على هذه الأمة ومن يكون أحرص عليها وعلى لغتها الكريمة من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؟؟.

المبحث الثاني

نقط المصحف لأبي الأسود الدؤلي

بعد الانتهاء من المبحث الأول الذي كان يتعلق بالحديث عن الأسس

الأولية لوضع النحو والواضع الأول له والروايات التي جاءت بهذا الصدد نقف في هذا المبحث عند مرحلة تكاد تكون متطورة عن المرحلة السابقة؛ لأن الأولى هي مرحلة نظرية والثانية هي مرحلة التطبيق الفعلي التي توجت بعمل أو صنيع أبي الأسود الدؤلي(ت٦٩هـ) بنقط المصحف نقط الإعراب أو (نقط الحركات). وسنعتمد أيضا في ذلك على ذكر الروايات التي أشارت إلى هذا العمل بحسب التسلسل التاريخي الأقدم فالأقدم.

ففي(أخبار النحويين) وقد ذكرت بعضا منه في المبحث الأول قال أبو الطاهر المقرئ (ت٣٤٩هـ): ((وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أحد حتى بعث إليه زيادٌ: اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به وتُعرب به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (أن الله بريء من المشركين ورسوله)، فقال: ما ظننتُ أن أمر الناس صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأتى بآخر قال أبو العباس أحسبه منهم. فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه فإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين. فهذا نقط أبي الأسود))[٦٦].

فالنص بعدما يشير إلى أسبقية الإمام علي عليه السلام في وضعه النحو يستطرد إلى أن أبا الأسود لم يخرج هذا العلم بسبب أو بآخر حتى استدعاءه زياد، الذي على ما يبدو أراد أن يحث أبا الأسود على بثّ ما أخذه عن علي عليه السلام فقال: ((اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به وتُعرب به كتاب الله)) مع

التنويه بالمكانة التي يحصل عليها أبا الأسود؛ ولكن ذلك لم يقع في نفس أبي الأسود؛ إلى أن وقف على أهمية ما عنده بنفسه. ولكنّ أبا الطاهر المقريء يذكر بروايتين مبادرة أبي الأسود إلى أن يجيء إلى عبيد الله بن زياد والأخرى مثلها إلى أبيه زياد، ليضع شيئا في العربية حفظا لها لمّا رأى اللحن قد طال ألسنة الناس؛ لكنهما رفضا.

ثم يتبع المقري ذلك برواية يذكر فيها السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ذلك وهو رغبة أبي الأسود تعليم غير العرب العربية، لِمَا لحظه على ألسنتهم من اللحن.

فالروايات ههنا لا تبتعد عامّة عن مبادرة أبي الأسود المتأثرة بعلم كان أبي الأسود قد حمله عن عليّ عليه السلام.

ومِمَن روى في نقط المصحف أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٦٠هـ) فقد قال: ((أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال: أمر زياد أبا الأسود الدؤلي رحمه الله أن ينقط المصاحف فنقطها، ورسم من النحو رسوما ثم جاء حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال أمر زياد أبا الأسود الدؤلي رحمه الله أن ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو رسوما ثم جاء بعده ميمون الأقرن رحمه الله فزاد عليه في حدود العربية ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهريّ رحمه الله ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء رحمهما الله فزادا فيه ثم جاء الخليل بن أحمد الأزديّ وكان صليبة فلحب الطريق ونجم علي بن حمزة الكسائيّ مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوما والآن يعملون عليها، أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا التوزيّ والمهريّ قالا حدثنا كيسان بن المعرف الهجيميّ أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه رحمه الله قال

قيل لأبي الأسود من أين لك هذا العلم يعنون النحو قال أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه...))[٦٧]. فالرواية كما هو واضح تسند علم النحو ومنه عمله في نقط المصاحف إلى الإمام عليّ عليه السلام. ما يؤكّد أن النقط المقصود بها نقط الإعراب.

وممن زاد في ذكر بعض الظواهر النحوية، التي تصدى لها أبو الأسود أبو بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ) بقوله: ((فكان أولَ مَنْ أصَّل ذلك، وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هُرْمز، فوضعوا للنحو أبوابًا وأصَّلوا له أصولًا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف، وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم، ثم وصل ما أصَّلوه من ذلك التالون لهم والآخذون عنهم، فكان لكل واحد منهم مِن الفضل بحسبِ ما بَسَط من القول ومَدَّ من القياس وفَتَقَ من المعاني وأوضح من الدلائل، وبيَّن من العلل))[٦٨].

وقال ابن النديم في الفهرست: ((حتى بعث إليه [يعني: أبا الأسود] زياد أن أعمل شيئا يكون للناس إماما ويعرف به كتاب الله فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ إن الله بريء من المشركين ورسوله بالكسر فقال ما ظننت أن أمر الناس آلا إلى هذا فرجع إلى زياد فقال: أفعل ما أمر به الأميرا. فليبغني كاتبا لقنا يفعل ما أقول؟. فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأتى بآخر قال أبو العباس المبرد: أحسبه منهم؛ فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه وان ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف فهذا نقط أبي الأسود. قال أبو سعيد رضي الله عنه: ويقال إنّ السبب في ذلك أيضاً انه مرّ بأبي الأسود سعدٌ وكان رجلا فارسيًّا من أهل زندخان، كان قدم البصرة مع جماعة أهله

فدنوا من قدامة بن مظعون، وادعوا أنّهم أسلموا على يديه، وأنّهم بذلك من مواليه. فمر سعد هذا بأبي الأسود، وهو يقود فرسه، فقال: مالك يا سعد لِمَ لا تركبُ قال: إنّ فرسي ضالع. أراد ضالعا قال فضحك به بعض من حضره فقال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة فلو عملنا لهم الكلام فوضع باب الفاعل والمفعول))[٦٩].

ويقول أبو المحاسن التنوخي(ت٤٤٢هـ): ((وقال أبو عبيدة: كان لا يخرج [يعني: أبو الأسود] شيئا ممّا أخذه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكانا من أصحابه، ثم انتقل رأي زياد في أمير المؤمنين، ولم ينتقل رأي أبي الأسود، وبقي ما بينه وبين زياد على حاله. فلما ولي زياد العراق بعث إليه، يقول له: اعمل شيئا تكون فيه إماماً، تُعرب به كتاب الله تعالى، وينتفع الناس به. فاستعفاه من ذلك، حتى سمع قارئاً يقرأ: (إنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولِه). فقال: ما ظننت أمر الناس صار إلى هذا. فرجع إلى زياد، فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليتبعني كاتباً لقناً يفعل ما أقول. فأُتي بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه، فأُتي بآخر - قال المبرد: أحسبه منهم - فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط فوقه نقطة، وإذا رأيتني قد ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك غُنَّةً فاجعل مكان النقطة نقطتين. فهذه نقطة أبي الأسود.))[٧٠].

وفي الحق أنَّ هذه الرواية تشبه ما تقدم في روايتي أبي طاهر المقريء وابن النديم إلّا أنّها تلقي ضوءاً على علاقة أبي الأسود مع زياد، إذ كانا مع الإمام علي عليه السلام وبقية علاقتهما فيما بعد انحراف زياد إلى معاوية عندما ألحقه بأبيه أبي سفيان، وسرقته بيت المال، ومن ثمّ سيتضح السبب الذي دعاه إلى الطلب من أبي الأسود ما طلبه، والإشادة ببروزه إذ أخذ العلم عن إمامه عليّ عليه السلام[٧١].

وقال القلقشنديّ (ت٩٢٢هـ) في صبح الأعشى: ((فذهب بعضهم إلى أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلي وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم إذ كان ذلك قد فشا في الناس صبح الأعشى فقال أرى أن ابتدئ بإعراب القرآن أولا فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد. وقال للذي يمسك المصحف عليه إذا فتحت فاي فاجعل نقطة....فإن اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة يعني تنوينا فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف وأكثر العلماء على أن أبا الأسود الدولي جعل الحركات والتنوين لا غير وأن الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام))[٧٢].

ويقول الدكتور محمد خير الحلواني:((ترجع قيمة أبي الأسود الدؤلي في تاريخ النحو إلى أنه هو أولُ مَنْ اتجه بالدراسة اللغوية إلى الاستقراء والاستنباط، وكانت قبله تقوم على محاكاة الأعراب والاختلاط بهم، وحِفْظ الشعر والأنساب، فتحوَّل بها إلى وضع الضوابط الدقيقة، ورَصْد الظواهر المتبدِّلة في تراكيب العربية))[٧٣].

وهناك من الباحثين المعاصرين من ذهب إلى أن أبا الأسود لم يضع النحو، كما هو عند النحويين، بل الذي وضعه هو تشكيل المصحف الشريف بالنقط، كما أجمع على ذلك الباحثون من القدامى والمعاصرين، وهذا الذي فعله أبو الأسود قد ظنّه القدماء نحوا، لذلك نسب إليه وضع النحو، ويكاد يجمع ويتفق على هذه النتيجة كل المعارضين، يقول احمد أمين: ((على هذا فمن قال: إن أبا الأسود وضع النحو فقد كان يقصد شيئا من هذا، وهو انه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا يكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمة موضع فتحة، فجاء بعده من أراد أن يفهم النحو على المعنى الدقيق، فاخترع تقسيم الكلمة))[٧٤].

وارتبطت المعالم النحوية التي تركها أبو الأسود بواقع الحياة اللغوية البسيطة في عصره، وقد عُني في معالمه هذه بدَفع اللحن عن قراءة القرآن، حيث استخرج ضوابط الإعراب بحسب ما توفرً لديه من قدرات ووسائل.

والحق أن ما ذكر يتعارض مع ما جاء في الروايات التي تمّ رصدها في المبحث السابق وهذا المبحث، فعلى الرغم من أن النحو لم يكن بمعناه وتفرعاته، إلا أن فلسفة قيام الإمام علي وأبي الأسود بعملهما ظل ملاحظا في الأسس التي تأسس عليها النحو العربي في عصوره المختلفة، سواء في التنظير(إذ تأسس النحو العربي على التصنيف في معظم مجالاته، والتصنيف هو الخطوة الأولى التي وضعها الإمام علي بتقسيمه الكلمات على وفق أصنافها الرئيسة)، وفي التطبيق(وهو الهدف التعليميّ الذي يعصم اللسان من الوقوع في الخطأ، لا سيما الخطأ في قراءة القرآن، بتعليم اللغة لغير أهلها).

المبحث الثالث

آراء المؤيدين والمعارضين وأدلتهما

أولاً: رأي المؤيدين وأدلتهم:

يبدو ممّا عرضناه من الروايات في المبحثين السابقين ممّا أوردناها مرتبة بحسب الزمن الأقدم ثم الأحدث - وبحسب ما تيسر لنا في حدود هذا البحث- أننا لم نجد من القدماء من تنكر لصحة هذه الروايات؛ بل يكاد إجماع العلماء متحصلا لتواتر الروايات في أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الرائد الأول في مضمار وضع اللبنات الأولى للنحو العربيّ. فابتداءً برواية ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في كتابه (المعارف)، والزجاجيّ (ت٣٣٧هـ) في أماليه، وأبي الطاهر المقرئ (ت٣٤٩هـ) في كتابه (أخبار النحويين) ورواية أبي الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ)، وأبي الفرج الاصبهاني (ت٣٦٠هـ) في كتابه (الأغاني)، وأبي البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) في (نزهة الألباء)، والقفطي

(ت٦٤٦هـ) في (أنباء الرواة)، والذهبي (ت٧٤٨هـ) في (تاريخ الإسلام)، وابن خلدون(ت٨٠٨هـ) في مقدمته، والسيوطي (ت٩١١هـ) في (الأشباه والنظائر).

فالاتفاق والإجماع بين هؤلاء العلماء دليل على صحة الرواية؛ ومع معرفتنا بسلسلة النحو التي تسالم على نقلها العلماء؛ ومنهم الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) فقد ذكر في كتابه مناقب الشافعي قوله: ((وقد قرأ الخليل ابن أحمد على عيسى بن عمر عن أبي عمرو بن العلاء وهو عن عبد اللّه بن إسحاق الحضرمي عن أبي عبد اللّه ميمون الأقرن عن عنبسة الفيل وهو عن أبي الأسود الدؤلي عن علي عليه السلام)) (٧٥).

وينقل صاحب كتاب(الشيعة وفنون الإسلام) ما يؤكد هذا السند بقوله:((وقال رشيد الدين بن شهر أشوب المازندراني في كتاب (المناقب) أن الخليل بن أحمد يروي عن عيسى بن عمرو الثقفي عن عبد اللّه بن إسحاق الحضرمي عن عالم النحو أبي عمرو ابن العلاء، عن ميمون الأقرن عن عنبسة الفيل عن أبي الأسود عن علي عليه السلام، ومثله قال الأزهري في (تهذيب اللغة) وابن مكرم في (لسان العرب) وابن سيده في (المحكم)، وابن خلكان في (الوفيات) وجماعات من أئمة العلم))(٧٦).

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه قال: ((قال ركن الدين علي بن أبي بكر الحديثيّ في كتاب الركني أنّ أوّل من وضع النحو أبو الأسود الدؤليّ أستاذ الحسن والحسين، أخذ النحو عن علي، قال فأخذ النحو عنه خمسة وهم: أبناه عطا وأبو الحارث وعنبسة وميمون ويحيى بن النعمان وأخذ منهم أبو إسحاق الحضرمي وعيسى الثقفي وأبو عمرو بن العلاء، وأخذ الخليل بن أحمد عن عيسى الثقفي وفاق فيه وأخذ عنه سيبويه وبعده الأخفش، ثم صار أهل الأدب كوفياً وبصرياً))(٧٧).

ويذكر السيوطي(ت٩١١هـ) في كتابه (سبب وضع علم العربية) السند التاريخي المهم في الرواية التي سقناها في المبحث الأول عن أبي القاسم الزجاجي في دفع الصحيفة من قبل الإمام علي عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي فيقول: ((وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي في أماليه حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري قال حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي حدثنا سعيد بن مسلم الباهلي حدثنا أبي عن جدي عن أبي الأسود الدؤلي رضي الله عنه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيته مطرقا متفكّرا؛ فقلت فيمَ تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أنْ أصنع كتابا في أصول العربية فقلت إنْ فعلتَ هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إليَّ صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كلّه اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل...))[٧٨] إلى نهاية الرواية.

ومن جهة أخرى نرى أن السند في الرواية يعد دليلاً ثالثا على صحة الرواية من ذلك ما جاء في (الأغاني) وصاحبه ينقل رواية تؤكد هذه النسبة، ومن رجال سندها عبد اللّه بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وسيبويه، والخليل، قال أبو الفرج الأصفهاني: ((أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمي عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي: أنّ أبا الأسود الدؤليّ رضي الله عنه دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له: ياأبتِ ما أشدُّ الحرِّ فرفعتْ أشدّ فظنّها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد. فقال لها: شهر نأجر يريد شهر صفر الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء فقالت:

ياأبت إنّما أخبرتك ولم أسألك. فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه)؛ فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل. فقال له: وما ذلك فأخبره خبر ابنته؛ فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأملى عليه الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وهذا القول أول كتاب سيبويه ثم رسم أصول النحو كلّها، فنقلها النحويون وفرعوها، قال أبو الفرج الأصبهاني(رحمه الله) هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن فكتبته من حفظي واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه))[٧٩].

وكذلك ما جاء في كتاب تاريخ الإسلام للذهبي: ((وقال المبرد حدثنا المازني قال: السبب الذي وضعت له أبواب النحو، أن ابنة أبي الأسود قالت: ما أشد الحر، قال: الحصباء بالرمضاء، قالت: إنما تعجبت من شدته، فقال: أوقد لحن الناس فأخبر بذلك علياً (عليه الرضوان)، فأعطاه أصولاً بنى منها، وعمل بعده عليها. وهو أول من نقط المصاحف. وأخذ عنه النحو عنبسة الفيل، وأخذ عن عنبسة ميمون الأقرن، ثم أخذه عن ميمون عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأخذه عنه عيسى بن عمر، وأخذه عنه عيسى الخليل، وأخذه عن الخليل سيبويه، وأخذه عن سيبويه سعيد بن مسعدة الأخفش))[٨٠].

وكذلك ما جاء في كتاب (الكنى والألقاب) للمحقق القمي من سند صحيح حين ترجم لابن الشجري إذ يقول: ((... توفي سنة اثنين وأربعين وخمسمائة في خلافة المقتفي وعنه أخذت علم العربية واخبرني انه أخذه عن ابن طباطبا وأخذه ابن طباطبا عن علي بن عيسى الربعي... وكان الشريف ابن الشجري أنحا من رأينا من علماء العربية وآخر من شاهدنا من حذاقهم وأكابرهم. (أقول) ثم ذكر سنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ملخصه انه اخذ الربعي

عن أبى علي الفارسي وهو عن أبى بكر بن السراج وهو عن المبرد والمبرد عن المازني والجرمي وهما عن الأخفش عن سيبويه عن الخليل عن عيسى بن عمر عن ابن أبى إسحاق عن ميمون الاقرن عن عنبسة الفيل عن أبي الأسود الدئلي عن أمير المؤمنين عليه السلام.))[٨١].

ويتّضح مما تقدّم أنّه مع الروايات التي نقل فيها أخذ أبي الأسود النحو عن الإمام علي عليه السلام، يدخل جانب آخر من توثيق هذه الروايات هي تسلسل تلمذة العلماء لاحق على سابق لتصل إلى متقدمي النحويين إلى أن تنتهي بالإمام علي عن طريق أبي الأسود.

وبذلك تكون الأدلة هي: إجماع العلماء واتفاقهم، وشهرة الروايات وتواترها المعنوي، والروايات المسندة لرجال لهم اعتبارهم ووثاقتهم. من ذلك ما جاء في (الشعر والشعراء) لابن قتيبة قوله في أبي الأسود: ((يعد من الشعراء والتابعين والمحدثين... والنحويين لأنه أول من عمل في النحو كتابا في النحو بعد علي ابن أبي طالب عليه السلام، وولي البصرة لابن عباس ومات بها وقد أسن))[٨٢].

وفي كتاب (طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ): ((وكان لأهل البصرة في العربية قدمة بالنحو، ولغات العرب والغريب عناية. وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها، وانهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي))[٨٣]. فهذا يدل دلالة واضحة على أن ما أخذه أبو الأسود الدؤلي كان جميعه قد أخذه عن علي بن أبي طالب عليه السلام بنصوص متقدمة في هذا الجانب.

ونضيف أيضا أنّ هناك كتابا كتبه أبي الأسود يأتي تاليا بعد كتاب لعليّ عليه السلام الذي كتبه أبو الأسود الدؤلي لعله أضاف عليه من كان حافزا له لأن يخرجه في كتاب[٨٤].

ويتبنى هذا الإجماع والاتفاق من المعاصرين كثيرون منهم: كمال إبراهيم إذ يقول عن اعتراضات المعارضين: وهذه كلها أقاويل واجتهادات لا تقوم على سند يعتد به، والروايات التي هي اقرب إلى عهد الوضع هي الأحرى بالأخذ والثقة بها(٨٥).

ويستغرب الشيخ الطنطاوي من مثل هذا التشكيك والتكذيب من المعاصرين في نسبة النحو للإمام عليه السلام أو لأبي الأسود فيقول: ((فمن الغريب بعدئذ أن يستنكر المستشرقون هذه النسبة المتواطأ عليها قديما وحديثا))(٨٦). وهناك أدلة أخرى سوف تظهر لاحقا في هذا البحث.

ثانيا: رأي المعارضين وأدلتهم:

أنكر جماعة من المعاصرين صحة نسبة النحو للإمام عليّ عليه السلام أو حتى نسبته لأبي الأسود الدؤلي، فحاولوا التشكيك والتكذيب والرفض لكثير من الروايات في هذا المجال مما سبق عرضها.

ولعل أول هؤلاء المستشرقون على ما أُثبتَ في دائرة المعارف الإسلامية؛ وتبعهم من المحدثين: أحمد أمين في كتابه(ضحى الإسلام)، وشوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية)، والدكتورة خديجة الحديثي في كتابها(المدارس النحوية). ومن الجدير بالذكر أن معظم من أنكر نسبة النحو للإمام علي عليه السلام كان قد أنكر نسبة (نهج البلاغة) إليه وحاول نسبتها إلى غيره (٨٧). وسنعرض الآن لأهم اعتراضاتهم؛ فقد تبنّى أحمد أمين في (ضحى الإسلام) رأيا رافضا وعدّ روايات هذا الباب (حديث خرافة)؛ فبعد أن عرض للروايات السابقة قال معقبا عليها: ((كلّ هذا حديث خرافة، فطبيعة زمن عليّ وأبي الأسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية، والعلم الذي ورد إلينا من هذا العصر في كل فرع يتناسب مع الفطرة، وليس فيه تعريف ولا تقسيم، إنما هو تفسير آية أو جمع لأحاديث ليس فيها تبويب ولا ترتيب، فأما تعريف وأما

تقسيم منطقي فليس في شيء مما صح نقله إلينا عن عصر علي وأبي الأسود))[٨٨]. وأيّده برأيه هذا سعيد الأفغاني بقوله: ((ولعل الأستاذ - أي احمد أمين - لم يكن بعيدا من الصواب حين روى هذا الخبر فعلّق عليه ما يلي))[٨٩] وذكر كلام أحمد أمين السابق.

ونحن نقول إذا كانت هذه الروايات المتسلسلة وهذا الإجماع وهذا الاتفاق الكلي بين العلماء يعد حديث خرافة فعلى ماذا يستند الواقع العلمي والدرسّ الموضوعيّ؟!؛ ثمّ أن وصفه التقاسيم بالفلسفية فيه من المغالطة ما فيه، فهل قول أحدنا: عند ثلاثة كتب فريدة أولها كذا وثانيها... وقول الشاعر: فثوب لبست وثوب أجرّ، ونحو ذلك يعدّ من الفلسفة؟!. ثمّ في مسألة التعاريف والتقسيمات رأي آخر سنأتي عليه تباعا.

وينفي الدكتور شوقي ضيف أن يكون لعصر علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي الأسود علاقة بالشروع في وضع الأسس النحوية ووضع الرسوم الأولى لهذا العلم إذ يقول: ((وكأنّه لم يكن مشغولا حين ذهب إلى العراق والكوفة بإعداد الجيوش لحرب معاوية، ولا كان مشغولا بحروب الخوارج، إنما كان مشغولا بالنحو ووضع رسومه وأصوله وفصوله. وطبائع الأشياء تنفي أن يكون قد وضع ذلك، ونفس الرواية السالفة وما أشبهها من الروايات تحمل في تضاعيفها ما يقطع بانتحالها لما يجري فيها من تعريفات وتقسيمات منطقية لا يعقل أن تصدر عن علي بن أبي طالب أو عن أحد من معاصريه، ولعل الشيعة هم الذين نحلوه هذا الوضع القديم للنحو الذي لا يتفق في شيء وأوليّة هذا العلم ونشأته الأولى))[٩٠].

ويزيد في الكلام بقوله: ((وقد يكون ذلك من صنع الشيعة، وكأنهم رأوا أن يضيفوا النحو إلى شيعي قديم، فارتفع به بعضهم إلى علي بن أبي طالب، ووقف به آخرون عند أبي الأسود صاحبه الذي كان يتشيع له، ويظهر أن

نحلهم إياه وضع النحو قديم، إذ نجد ابن النديم يقول: إنه رأى عند بعض الوراقين أربعة أوراق عن أبي الأسود كتبها يحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩ للهجرة وفيها كلام في الفاعل والمفعول))[٩١].

وذهبت الدكتورة خديجة الحديثي قريب من رأي الأستاذ أحمد أمين والدكتور شوقي ضيف في رفضها التقسيمات والتحديدات وذلك بعد عرضها لرواية الزجاجي التي اعتبرتها مفتعلة لا تثبت عند المناقشة والجدل وكذلك رواية أبي الطيب اللغوي وتعلل رأيها فتقول: ((لأنه من غير المعقول أن يكون الإمام علي قد وضع أول ما وضع هذه التحديدات والرسوم والتقسيمات الناضجة المحددة للكلام وأقسامه وتحديد كل قسم بلا أمثلة إنما بتحديد نظري لم نجد مثله في كتاب سيبويه الذي جاء بعد عليّ وقوله هذا بمائة وأربعين سنة، وكذا تقسيمه الأشياء إلى ظاهر ومضمر غير منطقي ولا معقول وجوده في زمن الإمام علي...))[٩٢].

وتبنى هذا الرأي أيضاً إبراهيم مصطفى فقال: ((ولكننا لا نستطيع أن نتقبل ذلك. أي وضع الإمام عليه السلام للنحو بيسر، ولا أن نستسيغ أن هذا الزمن المبكر قد تمكن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذي نراه في كتب العربية، وقد أنكر ذلك المستشرقون وعدوه حديث خرافة))[٩٣]. ولم يكتف بذلك بل نسب قول القدماء وضع النحو لأبي الأسود إلى التوهم والخلط؛ وذلك أنّ القدماء خلطوا بين نقط المصحف ووضع النحو، وسبب الخلط أنّ ضبط الكلمات كان يسمى نحوا، فظن القدماء الذين جاءوا بعده أنه وضع النحو بالمعنى الاصطلاحي المعروف. وقد جعل الأستاذ إبراهيم مصطفى كتب النحو المعروفة حكما في ذلك، فوجد أنّ أيّا منهم لم ينسب رأيّا نحويّا إلى أبي الأسود فلو صحت الرواية لوجدنا آراء له في الكتب النحوية المعروفة[٩٤].

وللرد نقول كما قال بعض الدارسين: ((عدم ذكر رأيّ لأبي الأسود في كتاب سيبويه ليس لأجل عدم وجود رأي نحوي له، بل لبعد الزمن وعدم تسجيل آرائه كتابة، بينما ذكرت آراء عبد اللّه بن أبي إسحاق مثلا؛ لأن الخليل كان قد تلقّاها منه مباشرة، ونقلها إلى تلميذه سيبويه، وكذلك لتطور الآراء النحوية بحيث لا تتلاءم بعقليتها ومنهجيتها وطبيعتها البدائية العامة مع كتابتها وعرضها في كتاب سيبويه، أو في غيره من الكتب النحوية بعد أنْ طورها ووسعها تلامذة أبي الأسود ومن بعدهم وفرعوا فيها وأُعتمد على مناهج وأساليب وآراء تتلاءم وروح عصرها ووعيه بحيث وصلت لسيبويه بالصورة الثانية المتطورة، وليست بالشكل الذي وضعه أبو الأسود.))[٩٥].

ويقول عبد الكريم الدجيلي: ((إن طبيعة العرب في صدر القرن الأول للهجرة لم تكن طبيعة تقسيم وتبويب وتعريف للجزئيات والأقسام والفصول، ولا يقع في تفكير هذا الطبع الساذج ذلك الجدل النحوي ولا تلك المماحكات، وإنما هو طبع بسيط ينظر للأمور عامتها لا خاصتها، وكلياتها لا جزئياتها، وهذا القول يتناسب وما ورد إلينا من التراث الثقافي لذلك العصر كتفسير بعض الآيات))[٩٦].

ورفض الدكتور نعمة رحيم العزاوي رحمه الله مسألة أن يكون الإمام علي عليه السلام قد وضع النحو أو أن تلميذه أبا الأسود الدؤلي وضع ذلك، بدعوى ((أن النظرة الفاحصة لا تستطيع أن تتقبل الرأي الذي ينسب إلى الإمام علي أنه وضع النحو، أو أن تلميذه أبا الأسود قد ابتدعه أو اخترعه...))[٩٧] ولم يبين السبب في هذا الرفض سوى أن مراحل العربية الأولى والمراحل التي مر بها النحو تحديدا ما زالت مجهولة، وان الباحثين ألفوها كاملة سواء ما كان متعلقا بمصطلحات(النحو) التي تتضارب الروايات في نشأتها أم في وضعه كاملا ومتكاملا لأول مرة على يدي سيبويه وأستاذه الخليل بن احمد. ونسي

الدكتور رحمه الله هذا الكم الهائل من الروايات الموثقة وشهرتها وتواترها المعنوي، وإجماع العلماء واتفاقهم، والروايات المسندة لرجال لهم اعتبارهم ووثاقتهم كما أسلفنا.

أمّا بخصوص ما ذكر من اعتراضات ومنها التقسيمات فـ((إنّ القرآن الكريم يشتمل على الكثير من التقسيمات والمضامين السامية، فلا يستغرب صدور مثل هذه التقسيمات والإبداعات في تلك الفترة (كذا) الزمنية من الإمام علي عليه السلام، وهو تلميذ القرآن الذي عاش مع القرآن الكريم منذ صغره، وكذلك نلاحظ وجود التقسيمات والتعاريف والمصطلحات في الأحاديث النبوية، فلا غرابة أن يتعلم منها من نشأ وعاش في أجوائها وخاصة الإمام عليه السلام الذي يملك من القوى الفكرية والعلمية الزاخرة ما يشهد به الجميع، وليس الشيعة وحدهم يعترفون بذلك بل هناك أحاديث وآراء من أهل السنة تثبت هذا العلم الواسع والفكر الزاخر للإمام علي عليه السلام، موجودة في كتبهم وصحاحهم، كل ذلك يدل على أن الإمام عليه السلام كان يمتلك علما يتميز به عن الآخرين))[٩٨].

ولتوضيح وتأكيد مضامين النص المتقدم نقول إنّ القرآن الكريم زاخر بالتقسيمات والتحديدات منها ما يتعلق بالمسائل العبادية والتشريعية ومنها ما يتعلق بالمعاملات التجارية وغيرها من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة٣٦) وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء٧٨) ويكفينا قراءة سورة النساء والتقسيمات الموجودة في مسألة الميراث والتفصيلات الدقيقة المحددة في هذا الجانب وغيرها من الآيات القرآنية الأخرى.

وهنالك روايات كثيرة وأحاديث نبوية شريفة قائمة على التحديدات والتقسيمات والتعاريف منها قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وإِقَام الصَّلاَة، وَإِيتَاء الزَّكَاة، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[٩٩]، وقوله صلى الله عليه وآله أيضاً: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَة رَبِّه، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِد، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّه اجْتَمَعَا عَلَيْه وَتَفَرَّقَا عَلَيْه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))[١٠٠] وكذلك قوله صلى الله عليه وآله أيضاً: ((عن ابن مسعود قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فسئل عن علي، قال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي عليّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وعليّ أعلم بالواحد منهم))[١٠١] وغيرها كثير.

أما ما يتعلق بعلم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام الواسع وفكره الزاخر نذكر ذلك على سبيل المثال لا الحصر: ففي (كنز العمال) يقول:((عن علي، قال: علمني رسول اللّه صلى الله عليه وآله ألف باب كل باب يفتح ألف باب))[١٠٢] وفي كنز العمال أيضا: ((عن علي قال: واللّه ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا طلقا سؤولا))[١٠٣] وفي (أسد الغابة): ((عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه))[١٠٤]. وفي سنن الترمذي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قوله: ((أنا دار الحكمة وعلي بابها))[١٠٥]. وفي كتاب (ينابيع المودة): ((عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: إن رسول اللّه صلى الله عليه وآله علّمني ألف باب، وكل باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب))[١٠٦].

هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أن نهج البلاغة زاخر أيضا بالتقسيمات والتحديدات والمصطلحات، والرجوع إلى بعض خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في النهج يرى صحة ما نذهب إليه. ومن الملاحظ أن معظم الذين اعترضوا على وضع الإمام علي للنحو هم أنفسهم اعترضوا على نسبة كتاب نهج البلاغة له عليه السلام - كما ذكرنا سابقاً - ما يظهر أن الأمر ليس مجرد اعتراض بل هو محاولة لإنكار ما صحّ عن القدماء في سابقة لعلي أو حتى لأبي الأسود. فعلى سبيل المثال نرى أن التقسيمات الموجودة في نهج البلاغة كثيرة نذكر منها قول الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ((وَاعْلَمْ أَنَّ اَلرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اَللَّهِ وَمِنْهَا كُتَّابُ اَلْعَامَّةِ وَاَلْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ اَلْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ اَلْإِنْصَافِ وَاَلرِّفْقِ وَمِنْهَا أَهْلُ اَلْجِزْيَةِ وَاَلْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ اَلذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ اَلنَّاسِ وَمِنْهَا اَلتُّجَّارُ وَأَهْلُ اَلصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا اَلطَّبَقَةُ اَلسُّفْلَى مِنْ ذَوِي اَلْحَاجَاتِ وَاَلْمَسْكَنَةِ وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اَللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ص عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً...))[١٠٧] وكذلك قوله :عليه السلام ((أَصْدِقَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ وَأَعْدَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ فَأَصْدِقَاؤُكَ صَدِيقُكَ وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ وَأَعْدَاؤُكَ عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ))[١٠٨] وغيرها أكثر مما يحصى.

وأما ما يتعلق بمسألة أنّ عليّا عليه السلام كان منشغلا بأمور الحرب والسياسة في مدة حكمه على العراق ولم يتسنى له الانشغال بوضع النحو فهو رأي بعيد عن الصواب لأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان خليفة للمسلمين وصوتهم الصادح بكل ما يعانون به فهو الذي يحكم ويفتي ويجلس للقضاء. وهل يمنع الاشتغال بالحرب عن إدارة متطلبات الحياة الاجتماعية؟ ولاسيما بتعلقها بالدين وكتابه العزيز فيبادر إلى ما يصحح ألسنتهم ويصقل لغتهم

ويبعدهم عن مواطن الخطأ في الكلام ليتسنى لهم قراءة القرآن الكريم ومعرفة الأحاديث النبوية الشريفة ومعرفة أحكامهم الشرعية التي تتعلق بالحلال والحرام والبيع والشراء والزواج والطلاق والمعاملات اليومية التي يحتاجون إليها.

ويبدو أنّ هذه الاعتراضات لم تبلغ حدّا يعتدّ به على المستوى العلمي في مقابل التواتر والإجماع، ولا تعدو أن تكون رأيا لصاحبها لعل استبطن فيه رأيا مسبقا بدافع غير علميّ لا سيما عند د.شوقي ضيف الذي افترى على الشيعة بلا دليل بمحاولة وضعهم فضيلة لبعض أصحابهم أو لإمامهم. كما عمد إلى تصوير خلافة الإمام عليّ عليه السلام أنها لم تتجاوز قتال من خرج عليه؛ فذلك من سذاجة الرأي والبعد عن حقائق التاريخ.

ومن جملة ما وقفنا عليه من النصوص ما روي عن ابن النديم قوله: ((قال محمد بن إسحاق كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بعرة جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي وكان نفورا ضنينا بما عنده خائفا من بني حمدان فأخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود آدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم وذكر أن رجلا من أهل الكوفة ذهب عنى اسمه كان مستهترا (مولعا) بجمع الخطوط القديمة وأنه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وأفضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فإنه كان شيعيا فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبا إلا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملا أدرسها وأحرفها وكان على

كل جزء أو ورقة أو مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدا أثر واحد فذكر فيه خط من هو وتحت كل توقيع توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض ورأيت في جملتها مصحفا بخط خالد بن أبي الهياج صاحب علي رضي الله عنه ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبد الله بن حاني رحمه الله ورأيت فيها بخطوط الإمامين الحسن والحسين ورأيت عنده أمانات وعهودا بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل أبي عمرو بن العلاء وأبي عمر الشيباني والأصمعي وابن الأعرابي وسيبويه والفراء والكسائي ومن خطوط أصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والأوزاعي وغيرهم ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحته هذا خط النضر بن شميل ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبرا ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه))[١٠٩].

ومسك الختام نذكر ما ورد عن الأصمعي قوله: ((قال رجل لبنيه: يا بُنيَّ أصلحوا ألسنتكم فإن الرجل تنوبه النائبة يجب أن يتجمل فيها فيستعير من أخيه وأبيه أثوابه ولا يجد من يعيره لسانه))[١١٠].

ومن خلال ما تقدم نرى أنه وقع على عاتق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن يحارب الخطر الذي واجه الأمة الإسلامية، وتكفل بمهمة الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والخطأ، بعد توسع الإسلام ليختلطون بغيرهم من الأقوام الأعجمية وبطبيعة الحال فإن اللحن بدأ يدب في ألسنة العرب وبدأت تضعف السليقة، ومن الطبيعي فإن النحو لم يظهر فجأة ولم يوضع عبثا وقديما

قيل: إنّ الحاجة أم الاختراع. فوضع أسس تصنيفية لضبط الكلام علاجا للمرض الذي يهدد الأمة الإسلامية ودستورها العظيم (القرآن الكريم)؟

الخاتمة:

تمخض عن كتابة هذا البحث جملة من النتائج لعل من أبرزها:

أولاً: سعى البحث من خلال الوقوف على العشرات من المصادر التاريخية إلى بيان حقيقة طالما وقع الخلاف فيها وهي قضية الواضع الأول للنحو العربي وأوضح البحث أن هنالك اتفاقا من العلماء وإجماعا منهم على أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو المؤسس الحقيقي وجاء هذا التأكيد على هذه الحقيقة عن طريقين من الروايات. الطريق الأول: ذكر الصحيفة أو الرقعة التي دفعها الإمام علي عليه السلام في النحو إلى أبي الأسود الدؤلي. والطريق الثاني: هو وجود إشارات وعبارات تؤكد أن الإمام علي هو الواضع الأول للنحو العربي منها: (أخذ النحو عن علي) ويعني به أبي الأسود الدؤلي أو (بإشارة من علي) أو (بتعليم من الإمام علي) وغيرها من العبارات الأخرى وبطبيعة الحال فإن روايات هذا الطريق أكثر وأوسع من الطريق الأول.

ثانياً: حاول البحث الفصل بين المرحلة التنظيرية التي بدأها الإمام علي عليه السلام للنحو العربي بوضعه الأسس الأولية له، وبين المرحلة العملية الذي بدأها أبو الأسود الدؤلي وهي عملية نقط المصحف والمعروف بـ (نقط الإعراب) أو (نقط المصحف) مستفيدا مما أملاه عليه أستاذه الإمام علي عليه السلام، ولعل عمله هذا هو ما أوهم بعض العلماء بأنه هو الواضع الأول للنحو العربي وليس الإمام علي عليه السلام.

ثالثاً: عرض البحث آراء المؤيدين من القدماء والمحدثين للروايات التي ترى أن الإمام علي هو الواضع الأول للنحو، وعرض أدلتهم التي تتلخص بشهرة الروايات وتواترها المعنوي، وإجماع العلماء واتفاقهم، والروايات المسندة لرجال لهم اعتبارهم ووثاقتهم، وكذلك السند التاريخي المتصل والمتسلسل الذي يؤكد تلمذة العلماء لاحق على سابق لتصل إلى متقدمي النحويين إلى أن تنتهي بالإمام علي عن طريق أبي الأسود، وغيرها من الأدلة الأخرى.

رابعاً: أوضح البحث آراء المنكرين ولا سيما رأي الباحثين المعاصرين ومذهبهم في إنكار صحة نسبة النحو للإمام عليّ عليه السلام، وبيّن اعتراضاتهم، وحاولنا الردود عليها فيما يتعلق بالتقسيمات والتحديدات وغيرها، وكانت الأدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكتاب(نهج البلاغة) والروايات التاريخية.

هوامش البحث

(١) لما صحّ من تواتره بين المسلمين من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المشهور بحديث الثقلين الذي بين أن أهل بيته لن يفترقوا عن القرآن، فكان أمره أن يُتمسك بهما معاً.

(٢) المستدرك ٢ / ٤٣٩، كتاب التفسير، تفسير سورة حم السجدة . وقال : صحيح الإسناد.

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء١٧- ١٨. وينظر: الجامع لأحكام القرآن١/٢٤. يظهر في خاتمة هذه الرواية ما نراه تمحّلا وذلك بقوله: عالم باللغة فهو مصطلح متأخر، علما أن لفظة اللغة إلى عصر ابن جنيّ كانت تعني اللهجة لا اللسان العربي.

(٤) طبقات النحويين٢٨، البيان والتبيين٢/ ٢١٨.

(٥) ينظر:البيان والتبيين ٢/٢١٨.

(٦) ينظر: المدارس النحوية (شوقي ضيف):١٢.

(٧) ينظر تفصيل ذلك في البيان والتبيين ٢١٠-٢١٩.
(٨) ينظر في هذا الموضوع المصادر الآتية: المدارس النحوية (شوقي ضيف):١١-١٣. المدارس النحوية (د.خديجة الحديثي): ٦٣-٦٦.
(٩) مقدمة ابن خلدون٣٥٣.
(١٠) المصدر السابق.
(١١) العين٣٠٢/٢.
(١٢) لسان العرب ١٥ / ٣١٠ مادة (نحا).
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) العين ٢ /٣٠٢، لسان العرب نفس الصفحة .
(١٥) تاريخ الإسلام ٥ / ٢. وتشيّع أبي الأسود الدؤلي مشهور بل كونه من المقربين إلى الإمام مما لا يحتاج إلى تفصيل، ويظهر بوضوح فيما ما جاء تاريخ العلماء النحويين١٥-١٦ ((وكان ينزل في البصرة، في بني قشير، فكان يُرجم بالليل، لرأيه في علي بن أبي طالب عليه السلام، فيُصبح فيشتكي، فيقولون له: الله يرجمك. فيقول: لو رجمني الله لأصابني، وأنتم ترجمونني ولا تصيبون)).
(١٦) الفهرست ٥٩.
(١٧) الفهرست ٦١.
(١٨) وسائل الشيعة ٣٢٩/١٧.
(١٩) ينظر: تاريخ آداب العرب ٢٧٧/١-٢٧٨.
(٢٠) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ١٩.
(٢١) الشيعة وفنون الإسلام ١٥٧ - ١٥٨.
(٢٢) ذكرت الدكتورة الفاضلة خديجة الحديثي في المدارس النحوية سنة وفاة الزجاجي ٣٧٧هـ والصواب ما أثبتناه.
(٢٣) أمالي الزجاجي ٢٣٨-٢٣٩. وينظر: الأشباه والنظائر١٠. وينظر أيضا تاريخ الخلفاء٤٧/١ في ترجمته لحياة الإمام علي بن أبي طالب وكان قد ذكر الرواية بتفاصيلها عن الزجاجي في أماليه.
(٢٤) الأشباه والنظائر ١٠-١١.
(٢٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء١٤-١٥.
(٢٦) نزهة الألباء في طبقات الأدباء١٥.
(٢٧) إنباه الرواة على أنباه النحاة ٣٩.
(٢٨) إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤٠.
(٢٩) إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤٠.

(٣٠) إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤٠.
(٣١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٨.
(٣٢) المعارف ٨٠.
(٣٣) أخبار النحويين(المقدمة) ١.
(٣٤) مراتب النحويين٦.
(٣٥) الأغاني١٢/٣٤٧.
(٣٦) الفهرست ١/٥٩.
(٣٧) الخصائص٣/٣٠٩-٣١٠.
(٣٨) الأوائل: ٢٥٣.
(٣٩) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٣٤٩. وذكره في الكنى والألقاب:٣٢٨.
(٤٠) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٧. والقراءة الصحيحة في القرآن ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة ٣٧).
(٤١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٩.
(٤٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٩-٢٠.
(٤٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٩.
(٤٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٩-٢٠.
(٤٥) سورة التوبة ٣.
(٤٦) معجم الأدباء٢/٩٦.
(٤٧) سورة الزخرف ٧٧. ويذكر ابن جني في المحتسب أنها قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود (رضي الله عنهما) ويحيى والأعمش (يا مالِ). وقال: هذا المذهب المألوف في الترخيم، إلا أن في هذا الموضع سرا جديدا، وذلك أنهم - لعظم ما هم عليه - ضعفت قواهم، وذلّت أنفسهم، وصغر كلامهم؛ فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورةً عليه، ووقوفا دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله القادر على التصرف في منطقه. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شوّاذ القراءات ٢/٢٥٧.
(٤٨) معجم الأدباء١/١
(٤٩) شرح نهج البلاغة١/٢٠.
(٥٠) تاريخ الإسلام ٢/١٢٢.
(٥١) تاريخ الإسلام ٢/١٢٢.
(٥٢) مقدمة ابن خلدون ٥٤
(٥٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٢ /٧٨.

(٥٤) خزانة الأدب ١/ ١٣٦.
(٥٥) حياة الحيوان الكبرى١/ ٣٥٥.
(٥٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١ / ٤٠٤.
(٥٧) تاج العروس١/١٥-١٦.
(٥٨) الأعلام ٣/٢٣٦.
(٥٩) تأسيس الشيعة ٤٨.
(٦٠) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١/ ٣١٤.
(٦١) علي بن أبي طالب من المهد إلى اللحد ١١٩.
(٦٢) الشيعة وفنون الإسلام ١٤٨.
(٦٣) العين ٢ /٣٠٢.
(٦٤) الشيعة وفنون الإسلام ١٥٧.
(٦٥) الشيعة وفنون الإسلام ١٥٧.
(٦٦) أخبار النحويين المقدمة ١.
(٦٧) الأغاني ١٢/٣٤٧-٣٤٨.
(٦٨) طبقات النحويين واللغويين١١.
(٦٩) الفهرست ٥٩.
(٧٠) تاريخ العلماء النحويين١٥-١٦.
(٧١) مما يذكر ههنا ما ذكره في تاريخ العلماء النحويين١٦، بقوله: ((وقرأت عن ابن الأنباري: دخل أبو الأسود على زياد، فقال له: كيف حبك لعلي عليه السلام؟ فقال: يزداد شدة كما يزداد بغضك له وحبك لمعاوية شدة، والله ما أردت بحبي لعلي إلا الله وما عنده، وما أردت بحبك لمعاوية إلا الدنيا وزخرفها، وهي زائلة عنك عن قليل)) تاريخ العلماء النحويين ١٦.
(٧٢) صبح الأعشى٣/١٥٤- ١٥٥.
(٧٣) المفصل في تاريخ النحو ما قبل سيبويه١٠١ .
(٧٤) ضحى الإسلام٢/ ٢٨٥.
(٧٥) نقلا عن كتاب (الشيعة وفنون الإسلام): ١٥٣.
(٧٦) الشيعة وفنون الإسلام ١٥٣.
(٧٧) الشيعة وفنون الإسلام١٥٣-١٥٤. على أن في الرواية ما يبدو غريبا، وذلك بوصف أبي الأسود أستاذ الحسن والحسين؟! والمتبادر أن المقصود بهما الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام، وهو ما لم تشر إليه الروايات الأخرى؛ كما أنّ الأولى أنْ يكونا تلميذين لأبيهما؛ بل علمهما علم أبيهما فكيف يحتاجان أبا الأسود.

(٧٨) سبب وضع علم العربية ٣١-٣٦.
(٧٩) الأغاني ٣٤٧/١٢.
(٨٠) تاريخ الإسلام ١٢٢/٢.
(٨١) الكنى والألقاب: المحقق الشهير الشيخ عباس القمي١/ ٣٢٦- ٣٢٧.
(٨٢) الشعر والشعراء ١٥٥/١.
(٨٣) طبقات فحول الشعراء ١٢/١.
(٨٤) مسألة وجود الكتب في تلك الحقبة المبكرة من تاريخ المسلمين، لا تبدو في نظرنا غريبة في زمنها وإطارها الحضاري فالتأليف بدأ بفعل الحث الإسلامي على طلب العلم وتقييده؛ وإنّ بداية التأليف تعود إلى وقت سابق والمحل هنا لا يسمح بالاستطراد في هذا الموضوع.
(٨٥) واضع النحو الأول مجلة البلاغ: السنة الأولى العدد/ ٨ الصفحة ١٨.
(٨٦) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ٢٠.
(٨٧) هنالك كثير من المصادر التي أكدت حقيقة نسبة كتاب (نهج البلاغة) للإمام علي عليه السلام منها: كتاب (موسوعة الغدير) للشيخ الأميني، وكتاب (ما هو نهج البلاغة) للسيد هبة الدين الشهرستاني، وكتاب (مدارك نهج البلاغة) الشيخ هادي كاشف الغطاء، وكتاب (مصادر نهج البلاغة) للسيد عبد الزهراء الخطيب وكتاب (مصادر نهج البلاغة) للشيخ عبد اللّه نعمة.
(٨٨) ضحى الإسلام ٢٨٥/٢.
(٨٩) في أصول النحو ١٥٥.
(٩٠) المدارس النحوية ١٤.
(٩١) المدارس النحوية ١٥.
(٩٢) المدارس النحوية ٥٩.
(٩٣) مجلة كلية الآداب، المجلد العاشر٢/ ٦٩.
(٩٤) ينظر: تاريخ العربية ٦.
(٩٥) أبو الأسود الدؤلي ١٧١.
(٩٦) ديوان أبي الأسود المقدمة ٦٦.
(٩٧) في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث ٨.
(٩٨) أبو الأسود الدؤلي١٠٩.
(٩٩) صحيح البخاري ١٩/١.
(١٠٠) صحيح البخاري١١٦/٣.
(١٠١) كنز العمال١٤٦/١٣.
(١٠٢) كنز العمال ١١٤/١٣.

(١٠٣) كنز العمال١٣/١٢٨.
(١٠٤) أسد الغابة ٤/٢٢.
(١٠٥) سنن الترمذي ٥/٦٣.
(١٠٦) ينابيع المودة لذوي القربى ١/٧١.
(١٠٧) شرح نهج البلاغة ١٧/٤٨. الخطبة رقم٥٣.
(١٠٨) شرح نهج البلاغة ١٩/ ٢٠٠. الخطبة رقم ٣٠١.
(١٠٩) الفهرست ٦٠-٦١.
(١١٠) نقلا عن الشيعة وفنون الإسلام: ١٧٥- ١٦٢.

قائمة المصادر والمراجع

١- أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي: د. فتحي عبد الفتاح الدجني، الطبعة الأولى- بيروت، ١٩٧٤م.

٢- أبو الأسود الدؤلي: هاشم محمد، بغداد/١٣٩٠، لم تنشر.

٣- أخبار النحويين: أبو الطاهر المقرئ (ت٣٤٩هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم ألبنا، دار الاعتصام- القاهرة.

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين الأثير(ت٦٣٠هـ)، موقع الوراق http://www.alwarraq.com

٥- الأشباه والنظائر في النحو/جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)/ تحقيق: د.عبد العال سالم مكرم/ مؤسسة الرسالة/بيروت/الطبعة الأولى/١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٦- الإصابة في معرفة الصحابة: ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، موقع الوراق http://www.alwarraq.com

٧- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت الطبعة الرابعة، كانون الثاني١٩٧٩م.

٨- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٦٠هـ)، تحقيق : سمير جابر الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت

٩- كتاب الأمالي: الزجاجي: أبي القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت. الطبعة الثانية١٤٠٧ه-١٩٨٧م.

١٠- إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين القفطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٦٨م.

١١- البيان والتبيين: أبو عمرو الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت / لبنان.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد الحسيني الملقب بمرتضى الزّبيدي(ت١٢٠٥هـ)

١٣- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، الناشر: مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى،١٩٩٧.

١٤- تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ) موقع الوراق http://www.alwarraq.com

١٥- تاريخ الخلفاء: السيوطي(ت٩١١هـ) موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com ﴿ الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع ﴾

١٦- تاريخ العربية: تأليف الدكتور عبد الحسين محمد الفتلي والدكتور رشيد العبيدي والدكتور طارق عبد عون الجنابي دار الكتب للطباعة والنشر.

١٧- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: أبو المحاسن التنوخي (ت٤٤٢هـ)، تحقيق:عبد الفتاح محمد الحلو، الرياض- جامعة محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١-١٩٨١م.

١٨- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، حسن هادي الكاظمي الصدر، (ت: ١٣٥٤هـ). شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

١٩- الجامع لأحكام القرآن/أبو عبد الله القرطبي/دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٢٠- حياة الحيوان الكبرى: الدميري، طبعة بولاق/مصر ١٢٧٥هـ.

٢١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي(ت١٠٩٣هـ)الطبعة الأولى، بولاق- القاهرة.

٢٢- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنشر- بيروت / لبنان، د.ت .

٢٣- الذريعة إلى تصانيف الشيعة العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني، دار الأضواء- بيروت.

٢٤- سبب وضع علم العربية: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: مروان العطية. الطبعة الأولى دار الهجرة - دمشق، ١٩٨٨.

٢٥- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، موقع وزارة الأوقاف المصرية.

٢٦- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي(ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة.

٢٧- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م-١٣٨٧هـ١٩٦٧م.

٢٨- الشيعة وفنون الإسلام، حسن هادي الكاظمي الصدر، (ت ١٣٥٤هـ).

٢٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق : د.يوسف علي طويل، الناشر: دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

٣٠- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المطبعة الأميرية /القاهرة، ١٢٨٦هـ.

٣١- ضحى الإسلام: أحمد أمين، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة- القاهرة١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

٣٢- طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى- القاهرة ١٣٧٣ه- ١٩٥٤م.

٣٣- طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ)، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة.

٣٤- علي بن أبي طالب من المهد إلى اللحد تأليف العلامة الخطيب السيد محمد كاظم القزويني

٣٥- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تح: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، الطبعة الثانية،١٩٨٦.

٣٦- الفهرست: ابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، مكتبة الأسدي ومكتبة الجعفري التبريزي، طهران.

٣٧- في أصول النحو: سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية- دمشق ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

٣٨- في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث: الدكتور نعمة رحيم العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٥م.

٣٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م.

٤٠- الكنى والألقاب: المحقق الشهير المحقق الشهير والمؤرخ الكبير عباس القمي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشراف،١٣٧٦ه-١٩٥٦م.

٤١- لسان العرب: ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري(٧١١هـ)/ طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة.

٤٢- المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها: عثمان ابن جني(ت٣٩٢هـ)/ تحقيق: علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة - مصر ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٣- مجلة البلاغ: الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية، الكاظمية/ العراق. طبعت بمطبعة المعارف - بغداد.

٤٤- مجلة كلية الآداب: جامعة فؤاد الأول / المجد العاشر - العدد الثاني.

٤٥- المدارس النحوية: تأليف الدكتور شوقي ضيف، الطبعة السابعة. دار المعارف- القاهرة.

٤٦- المدارس النحوية: تأليف الدكتورة خديجة الحديثي، الثانية الطبعة، طبع على نفقة جامعة بغداد ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤٧- مراتب النحويين: أبو الطيب عبد الواحد اللغوي (ت٣٥١هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤م.

٤٨- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، موقع جامع الحديث http://www.alsunnah.com

٤٩- المعارف: ابن قتيبة، تحقيق: ثروة عكاشة. مطبعة دار الكتب_ القاهرة ١٩٦٠م طبعة الأزهر.

٥٠- معجم الأدباء: ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، مرجليوث، القاهرة.

٥١- المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه: محمد خير الحلواني، بيروت ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٢- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون(ت٨٠٨هـ)، دار الكشاف- بيروت.

٥٣- ديوان أبي الأسود الدؤلي: تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، بغداد/١٩٥٤.

٥٤- النحو وتاريخ أشهر نشأة النحاة: الشيخ محمد الطنطاوي، الطبعة الرابعة، القاهرة١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م.

٥٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي- القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٥٦- وسائل الشيعة: تأليف الفقيه المُحْدّث الشيخُ مُحمّدْ بن الحسن الحُر العاملي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُراث.

٥٧- ينابيع المودة لذوي القربى للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٢٠ - ١٢٩٤هـ) تحقيق: سيد علي جمال اشرف الحسيني. الطبعة الأولى، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.